عليه، وأخرى من خلال أحاديثه التي لم تنطق عن الهوى، وثالثة من خلال ألوان سلوكه المترجمة كتاب الله إلى أفعال. فالوصية بالقرآن حاصلة ليل نهار، لأنّها رسالة الرسول التي بُعث بها بشيراً ونذيراً للعالمين، من يوم كلّفه بها الله إلى يوم انتهى أجله، ولقي وجه ربّه الكريم ولقد مكث محمد في الدنيا ثلاثاً وعشرين سنة، هي عمرة الرسولي، وما علم أحد ولا ادّعى أنّه كفّ عن التبليغ ساعةً من يوم، ولا يوماً من شهر، ولا شهراً من عام. فقول ابن أوفى: إنّ النبي «أوصى بكتاب الله» هو من قبيل لزوم ما لا يلزم، وتكرار لمعلوم ما فتئ صاحب الرسالة يردّده ويعيده، فلا حاجة ثمة لترديد مردّد ولا لإعادة معيد! وقول عائشة: «ومتى أوصى!» وهي تعني علياً، إنّما يجري على نفي الوصية «الولائية» التي خصّ بها النبي ابن عمه إذ جمع عشيرته ليدعوهم إلى الدين، ويعينوه على نشره، فسخروا منه، وردّوا دعوته الهادية، إلاّ َ ذلك «الغلام» الصغير إذ قال: «أنا يا رسول الله عونك أنا حرب على من حاربت». فردّ النبي على الفتى الموعود بالولاية بكلام قال فيه: «أنت وليّي ووصيّي ...»[1545].